مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (35) العدد (2)2013
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (35) No. (2) 2013

الميتافيزيقا والانحطاط في فلسفة نيتشه "نقد المسيحية أنموذجاً"

الدكتور منذر شباني*

(تاريخ الإيداع 12 / 3 / 2013. قبل للنشر في 14 / 4 / 2013)

□ ملخّص □

يتناول البحث مفهوم الانحطاط في فلسفة نيتشه، في محاولة لإبراز دور هذا المفهوم في فلسفة التاريخ لديه أولاً، ثم استخدام نيتشه لهذا المفهوم في نقده للمسيحية ثانياً، وخصوصاً أن نيتشه يرى في المسيحية نفسها انحطاطاً منهجياً عندما تمكنت من تزييف القيم ومحاربة كل طاقة إنسانية خلاّقه ، واستثمار القيم التي دعت إليها للوقوف ضد القوة والارتقاء الطبيعيين ، وأخيراً فإن البحث يتناول موقف نيتشه الداعي إلى إعادة كتابة التاريخ العام والتاريخ المسيحي الفعلي.

الكلمات المفتاحية : الإنحطاط – المسيحية – فلسفة التاريخ – القوة .

* مدرس– قسم الفلسفة– كلية الآداب والعلوم– جامعة تشرين– اللاذقية– سورية.

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (35) العدد (2)2013
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (35) No. (2) 2013

Metaphysics and Decadence in Nietzsche's Philosophy "Criticism of Christianity as a Model"

Dr. Monzer Shbani*

(Received 12 / 3 / 2013. Accepted 14 / 4 / 2012)

□ ABSTRACT □

The research handles the concept of decadence in the philosophy of Nietzsche, in an attempt to highlight the role of this concept first in Nietzsche's the philosophy of history, then Nietzsche's use of this concept in criticizing Christianity, as Nietzsche saw in Christianity a systematic degeneration when it falsified values and fight human creativity, and invested the values which it called for them to stand against the natural power and natural progress. Finally, this research deals with Nietzsche's attitude which calls for rewriting general history and the actual Christian history.

Keywords. Decadence. Christianity. the philosophy of history. power.

***Assistant Professor, Department of Philosphy, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia , Syria.**

مقدمة:

شكّل الانحطاط **decadence** في فلسفة نيتشه الموضوعة المركزية لتلك الفلسفة ، فالانحطاط كما وقعنا عليه يكاد أن يكون متناً ومبنى لمجمل فلسفة نيتشه ، وقد آثرنا في هذا البحث أن نتناول المسيحية وعلاقتها بالانحطاط ضمن منظوره العام لانحطاط الحداثة الغربية قاصدين من وراء ذلك أن نحقق عدداً من الأغراض في الوقت نفسه. فنحن إذ نفعل ذلك، نعتقد أننا نكون قد أمطنا اللثام عن نقد نيتشوي للمسيحية، بِمكِّن من تجاوز المسيحية نفسها إلى نقد كل ما ارتبط بها، خصوصاً في مرحلة الحداثة، المرحلة التي قدمَّت فيها المسيحية نفسها بلبوسها البروتستانتي الإصلاحي، إذ إن المسيحية والحالة هذه، المسيحية الكاثوليكية، استطاعت أن تؤمِّن لنفسها سبيلاً للاستمرار تحت مسمى الإصلاح، والكنيسة الجديدة . أو ما عُرف في عصر النهضة بكنيسة بلا مسيح ولاهوت بلا كهنة ، وهذا البحث إذ ينشغل بتتبع الانحطاط ، ودوماً وفق نيتشه، فإنه لا يلبث أن يكشف عن مسيحية بلا مسيح منذ نشأتها، وعن لاهوت ما انفك يعمل على إنتاج الكهانة والكهنة، مرة تحت عباءة الدين ومرّات ومرّات تحت عباءات أخرى، في إشارة إلى الميتافيزيقا بما مثّلته في الفلسفة الغربية الحديثة ، وما أفضت إليه ضمن الحداثة ذاتها، ليس فقط من حيث نظرية المعرفة والمنهج ، بل ومن حيث هي ، أي الميتافيزيقا، مشروعاً ثقافياً حداثوياً انطوى على مفاهيم جذرية تجاه الإنسان والمجتمع والسياسة والدين . في هذا السياق يسعى البحث إلى الكشف ما أمكن ، وضمن مقتضيات النقد، عن انحطاط الميتافيزيقا وارتباطها الوثيق بانحطاط المسيحية نفسها في شكلها الحداثوي البروتستانتي.

في التماس هذا الهدف مضينا في بحثنا محاولين تقصّي الانحطاط من خلال النقد النيتشوي للدين المسيحي لنجده يتبلور، وهو في منتصف الطريق ، بوصفه أكثر من نقد للمقدس، نقد اتخذ لدى نيتشه منحىً مغايراً لذاك الذي بدأ في أوربا منذ القرن السابع عشر. ويعود السبب في ذلك إلى أن نيتشه ، لم يتخذ من نقد الدين والمقدّس مشروعاً بقدر ما جاء هذا النقد مُتَضمناً داخل مشروعه الساعي إلى نقد الثقافة والمجتمع بشكل عام ونقد الأخلاق بشكل خاص، وهو نقد تمثَّل بهجوم لاهوادة فيه على الفلسفات المثالية التي خانت طابعها الفلسفي إلى الدرجة التي يمكن فيها اعتبار تلك الفلسفات خصوصاً في مرحلة الحداثة ، بوصفها لاهوتاً معقلناً، وهو ما سيأتي عليه البحث لاحقاً، طالما أن تلك الفلسفات كانت قد أنجزت ، من ضمن ما أنجزت ، منظومات أخلاقية ومعرفية ، لم يرَ فيها نيتشه ، سوى استطالات لانحطاط تأصَّل في قلب المسيحية **(الكاثوليكية – البروتستانيته)** ، انحطاط واصل عملية تزييف التاريخ .

ضمن هذه الرؤية ، تنطَّح هذا البحث لتناول الانحطاط لدى نيتشه ، بوصفه فلسفة للتاريخ ، محاولين ما أمكن تعقّب صيرورة هذا الانحطاط ، وإبراز مسألة نراها تتمتع بقيمة معرفية ومنهجية هنا وهي البحث فيما إذا كان وعي نيتشه للانحطاط هو في حقيقة الأمر وعياً للتاريخ ، وفيما إذا كان وعياً كهذا قد أسهم لدى نيتشه في إعادة كتابة التاريخ ، ودور إرادة القوة في عملية الإعادة تلك وهو أمر سيحاول البحث تفحُّصَه على المستوى المنهجي كما على المستوى النظري المعرفي فيما هو يناقش مفهوم الانحطاط ، ضمن حقلي الخاص والعام أي المسيحية والميتافيزيقا.

أهمية البحث وأهدافه:

على الرغم من أن هذا البحث ، يتناول المسيحية بشكل أساسي كأنموذج للانحطاط عند نيتشه، فإن أهميته تأتي من سعيه إلى البحث في مفهوم الانحطاط نفسه ، الذي من خلاله استطاع نيتشه أن يعبِّر عن موقفه حيال فلسفة الحداثة كلها. إذ إن فلسفة نيتشه جاءت في حقبة تاريخية – أي نهاية القرن التاسع عشر– كانت فيها الحداثة نفسها قد وصلت إلى أفق مسدود . وهي المرحلة ذاتها التي شهدت انتشاراً للمادية التاريخية على يدي كارل ماركس ، ما يشير

إلى أن الفلسفة بوجه عام كانت قد بدأت آنذاك بالبحث عن سُبل للخروج بالحداثة من مأزقها التاريخي وتالياً طرح بدائل تاريخية لكل معضلاتها المتعلقة ليس فقط بمسائل المعرفة ، بل و بالمسائل الاجتماعية والسياسية التي تحولت إلى عبء على الحداثة نفسها، تلك المسائل التي أفرزتها الفلسفات الميتافيزيقية الحداثوية .

وإذا كان ماركس قد اكتشف المنهج المادي الجدلي التاريخي كأداة للتحليل المعرفي النظري والسوسيولوجي التاريخي وما قاد إليه هذا المنهج على صعيد البرهنة التاريخية على عقم المناهج الميتافيزيقية وفشلها في تحقيق التقدم التاريخي ، فإن فلسفة نيتشه بتناولها النقدي للميتافيزيقا والتاريخ معاً ، مثّلت النكوص والارتداد عبر المنهج الجينالوجي، مُفصحة بذلك عن رؤية لا تجد في التقدم التاريخي حلاً لمعضلات الحداثة بقدر ما وجدت ذلك الحل في تجاوز تلك المعضلات وإعادة إنتاج التاريخ وفقاً لإرادة القوة .

أما من حيث الأهداف فإن هذا البحث يهدف من ضمن ما يهدف ، إلى دراسة مفهوم الانحطاط داخل فلسفة نيتشه في سياق تشكّل بنية اجتماعية وسياسية وثقافية اعتُبرت في حينه ارهاصاً حقيقياً للنزوع الإمبريالي الذي أخذ بالتعبير عن نفسه ، بوصفه تجاوزاً للانحطاط واختزالاً للتاريخ والتقدم التاريخي.

منهجية البحث:

اعتمد هذا البحث بشكل رئيس على المنهج المادي الجدلي التاريخي ، إذ إننا حيال المنهج الجينالوجي الذي اعتمده نيتشه ، في معالجته للمسيحية والذي أفضى به إلى عدها أصل الانحطاط منذ مرحلة النشوء وحتى عصر الحداثة ، وجدنا أنفسنا معنيين بالكشف عن طبيعة هذه المعالجة والنقد النيتشويين للمسيحية وكذلك المرامي والأهداف المبيّتة لدى نيتشه ، ليس ضد المسيحية فحسب بل وضد التاريخ برمته . فالمنهج الجينالوجي المذكور كان قد مكّن نيتشه من القيام بعملية الحفر في التاريخ بغية الكشف عن أصل الانحطاط وتالياً إنتاج فلسفة تقدِّم نفسها بوصفها وعياً لهذا الانحطاط . وتروّج في الوقت نفسه لفكرة إرادة القوة لتجاوز الانحطاط وهو ما أعطى نيتشه زخماً وانتشاراً مؤثّرين داخل الأوساط الثقافية خلال حياته وبعدها ، كما أن اللجوء إلى المنهج المادي الجدلي التاريخي ، يبدو بالنسبة لنا أمراً في غاية الأهمية طالما أن فهم نيتشه للتاريخ ووقوفه ضد الميتافيزيقا أثار ويثير جملة من الأسئلة . فالنقد النيتشوي للمسيحية وللميتافيزيقا كان قد تمسك بالتاريخانية ، الأمر الذي ألقى بظلال كثيفة على مفهوم التاريخ لديه ، وإزاء هذه الواقعة رأينا أنه يمكن للمنهج المادي الجدلي التاريخي أن يحدد الطابع التاريخي لمقولات نيتشه ، مما يسمح أكثر فأكثر في إعادة تموضع فلسفة نيتشه نفسها داخل سياقها التاريخي.

النتائج والمناقشة:

الانحطاط وفلسفة التاريخ:

اتخذت فلسفة نيتشه من بحث الانحطاط ، بحسب دراسات متعددة ، مسلكاً انحطاطياً. ولا تكاد تخلو دراسة من تلك الدراسات من الوقوف عند مفهوم الانحطاط في فلسفة نيتشه والدور والوظيفة اللتين يؤديهما في فلسفته. وبعض هذه الدراسات كان قد عالج فلسفة نيتشه بوصفها فلسفة خاصة بالكشف عن الانحطاط ، سواء من حيث المرحلة التي نشأت ونمت فيها أو من حيث تركيز نيتشه نفسه على استخدام مفهوم الانحطاط في معالجته لمعضلات زمنه . وبهذا الصدد

يكفي أن نطَّلع على عمل جورج لوكاتش"**تحطيم العقل**" [1] لندلل على ما نقول. والملاحظة المهمة هنا التي يقدّمها لنا لوكاتش تتمثل في الإشارة إلى أن نيتشه لا يحاول أن يفهم الانحطاط فقط بل وأن ينطلق منه نحو المستقبل . وبرأي لوكاتش فإن تلك ميزة نيتشه وإسهامه الفلسفي الحقيقي حيال الانحطاط ، فهو يكتب أي لوكاتش: "هذه الطريقة ، طريقة تعريف الإنسان المنحط على أنه الصورة المركزية لتطور مُندار نحو المستقبل ، والانحطاط على أنه دفة القفز إلى المستقبل ، تميّز نيتشه بين جميع الفلاسفة الرجعيين". [2]وبملاحظة لوكاتش هذه ، فإن نيتشه يكون قد أتى الانحطاط من الأمام ، وجهاً لوجه ، ممتلكاً حساً خاصاً يجعله لا يميّز الانحطاط بشكل دقيق فحسب ، وإنما أكثر من ذلك ، امتطاء الانحطاط نفسه لتحقيق التجاوز ، تجاوز الانحطاط نفسه والتأسيس لمستقبل يخرج فيه سادة الأرض من قلب الانحطاط . وهو ما يبني عليه نيتشه مشروعه النقدي للانحطاط ، وجدير بنا الآن التأكيد على أن البحث هنا يخضع لمتطلبات معرفية ابستمولوجية تجعله يشرع في إظهار علاقة الانحطاط المسيحي بفكرة الإنسان الأعلى انطلاقاً من تلك المتطلبات نفسها التي تسمح لنا بالابتعاد عن الإيديولوجيا والأحكام المسبّقة هذا من جهة . ومن جهة اخرى فإن البحث ينهمك في مناقشة الانحطاط وعلاقته بالمسيحية ، ويأخذ على عاتقه الكشف عن طبيعة الزعم النيتشوي الرامي إلى إبراز الانحطاط كفلسفة للتاريخ والنفاذ من خلاله لنقد الظواهر التاريخية وتحديداً تلك التي نزعت عن نفسها صبغتها التاريخية . وضمن هذا السياق يبرز المنهج المادي الجدلي التاريخي بوصفه منهجاً قادراً على تفحص طبيعة النزعة التاريخية عند نيتشه في معالجته لقضاياه وعلى الأخص قضية الدين ، والمسيحية تحديداً ، فنحن نعتقد أن نيتشه في مواجهته لمفهوم الانحطاط كان قد لجأ إلى مجابهة ضارية مع الدين المسيحي وتحديداً في كتابه **عدو المسيح** وأنه خلف تلك المجابهة حاول نيتشه أن يتمثل موقفاً تاريخانياً ، يساعده في نقد المثالية عموماً والمثالية الألمانية خصوصاً، ليس بهدف الكشف عن الطابع التاريخي للظواهر والأحداث وإعادتها إلى سياقها التاريخي ، بقدر ماكان ذلك النقد موجّهاً إلى هدم الميتافيزيقيا جملة وتفصيلاً ، بقضِها وقضيضها ، مستخدماً المنهج الجينالوجي للحفر في التاريخ نفسه وإبرازه بوصفه تاريخ انحطاط .

ضمن هذا السياق يثير نيتشه مع الميتافيزيقيا اليونانية وكل المثاليين اليونانيين، أول ما يثير مشكلة التاريخانية، فهؤلاء فلاسفة منحطّين ويتأتى انحطاطهم من القطيعة التي احدثوها مع التاريخ ، وهو يرى أن هذا النوع من الفلاسفة إنما يصنع أوهاماً ويقدّم طُرقاً بالتحنيط لا أكثر ويتابع نيتشه نقده لهم على اعتبارهم يخلقون مومياءات ويحنطونها [3] على حد تعبيره ، طالما هم يديرون ظهرهم للتاريخ ، فالأفكار وحدها بمعزل عن حركتها التاريخية ، لا تعدو كونها أصناماً وهي لذلك ليست سوى أفكار انحطاط. ونقد نيتشه لهؤلاء ينتهي به إلى عدّهم دوغمائيين ، و فلاسفة متعصبين يستبسلون في الدفاع عن المومياءات التي ابتكروها ، وعن أفكارهم التي حوَّلوها إلى مسلمات ، وعن فرضياتهم التي غدت حقائق لا تقبل الطعن ولا النقد [4] ، ومما هو جدير بالملاحظة أن نيتشه يستبعد هيرقليط من بين الفلاسفة اليونانيين المثاليين ، إذ يرى فيه فيلسوفاً أقل انحطاطاً وإن كان يقترب من أولئك على مستوى نظرية المعرفة ، وما ينقذه من الانحطاط الكامل هو أنه اكتشف التغيُّر والصيرورة [5] ، ويصل نيتشه ، الذي يمضي في تعقب الانحطاط لدى

---

[1] – لوكاتش، جورج، تحطيم العقل، ت: إلياس مرقص، دار الحقيقة، بيروت 1980ج2. ص93 ومابعدها.

[2] – المرجع نفسه ، ص 96.

[3] – نيتشه ، فريدريك، أفول الأصنام ت: سليمان حسون، دار الكوثر، دمشق، 2009. ص25.

[4] – المصدر نفسه ، ص26.

[5] – المصدر نفسه، ص16.

فلاسفة اليونان ، إلى مرحلة سقراط وأفلاطون ليعثر على الانحطاط بوصفه فلسفة مثالية تنتصب بجلالها على حطام التاريخ ، فهي فلسفة زيَّفت التاريخ وزوّرته مع سبق الإصرار والترصد كما يقال . كما أن فلاسفة أمثال سقراط وأفلاطون لا يأتي انحطاطهما من كونهما قد حنَّطا قضاياهما وأخرجاها من التاريخ ، بل من كونهما مزوّرين ، زيفا تراث الإغريق وتاريخهم ، فأنتجا فلسفة زائفة ، فلسفة أسست للانحطاط اليوناني [6] ، بحيث أن فلسفة سقراط وأفلاطون أتت بمثابتها كبحاً للتاريخ الإغريقي البطولي أو على الأقل المفعم بالبطولة . وهنا نقف على المعنى الذي يتبناه نيتشه للتاريخ ، والانحطاط الذي يكشف عنه نيتشه عند سقراط وأفلاطون يأتي من موقفهما حيال الماضي اليوناني البطولي الذي يحاول نيتشه إعادته إلى الحياة ، عبر مفهوم إرادة القوة.

إذا كانت مساحة البحث الذي بين أيدينا لاتسمح بالإيغال أكثر في موقف نيتشه من سقراط و أفلاطون ، فإننا في سياق هذا البحث نرى أن الإحالة إليهما إحالة ذات دلالة وأهمية على صعيد إيضاح موقف نيتشه من التاريخ والفلاسفة اللاتاريخيين ، والفيلسوفان المذكوران كموضوعين للانحطاط من خلال الموقف النقدي النيتشوي حيالهما ، يظهران بوصفهما انحيازاً ، ليس فقط ضد التراث الإغريقي الفكري والأخلاقي ، بل وضد التاريخ البشري بشكل عام.

وطالما أن الأمر كذلك ، أي طالما أن نيتشه يكتشف انحطاط الفلاسفة – المثاليين هنا – في معاداتهم للتاريخ وإسقاطه من مناهجهم الفلسفية . فإننا معنيون بالتأكيد على أن نيتشه لا يفهم التاريخ كما يفهمه ماركس ، وإننا لهذا السبب استعنا في بحثنا هذا بالمنهج المادي الجدلي التاريخي ، ذلك أن نيتشه لا يشتق التاريخ من قلب الفاعلية البشرية [7]كما يفعل ماركس ، بقدر ما أنه يلجأ إلى مفهوم التاريخ كما عثر عليه لدى الشاعر الألماني غوته الذي طالب بإعادة كتابة التاريخ .[8] وغوته يتحدث عن التاريخ المروي ، التاريخ الذي يقبل التزوير لأنه يُروى . إلا أن نيتشه لا يأخذ بمفهوم غوته هذا على عواهنه ، فإذا كان الأخير قد تحدّث عن إعادة كتابة التاريخ بمعنى تبرير الماضي ووصف الحوادث الماضية كما وقعت بالفعل ، فإن نيتشه يعيد صياغة هذه المفهوم متخذاً من التاريخ موقفاً مشابهاً ، ولكن في سياق تساؤله عن الحقيقة وفائدة ما هو تاريخي ، مطالباً بالانطلاق من الحاضر وقواه العليا نحو إعادة كتابة التاريخ .[9] ويتضح لنا أنه على الرغم من الإضافة التي قدّمها نيتشه حول مفهوم التاريخ ، فإنه لم يفهم التاريخ مضافاً إلى علاقات البشر، ولا مشتقاً منها، ولهذا السبب فإن التحليل الماركسي الذي يكشف عن فهم نيتشه اللاتاريخي لقضية التاريخ واصفاً فلسفته بالفلسفة الرجعية[10] وعدوة التقدم التاريخي، يمتلك قوة منهجية ومعرفية ، وبهذا المعنى فإن نيتشه يقدّم فهماً للتاريخ يتأسس على أسس سوسيوثقافية وربما مثّل الانحطاط بأشكاله الثقافية والاجتماعية واحداً من أهم تلك الأسس.

المسيحية: إعادة إنتاج الانحطاط:

ينتمي نقد نيتشه للمسيحية إلى ما أخذ يُعرف لدى نقاد الفلسفة ومؤرخيها بالحدث البروتستانتي .[11] نسبة إلى الإصلاح الديني البروتستانتي الذي انطلقت شرارته من ألمانيا على يد المصلح الألماني مارتن لوثر، وقد شاركت الفلسفة الألمانية في هذا النقد على مستويات عدة اختلفت بحسب الاتجاهات الفلسفية للفلاسفة الألمان الذين قاموا بهذا

---

[6] – المكان نفسه .

[7] – ماركس، كارل، الإيديولوجيا الألمانية، ت: فؤاد ديوب، دار دمشق، دمشق ، دون تاريخ، ص 34.

[8] – لوفيت، كارل، من هيغل إلى نيتشه، ت: ميشيل كيلو، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1988، ج1، ص 278.

[9] – لوفيت، كارل، من هيغل إلى نيتشه، مرجع مذكور ، ص 280.

[10] – لوكاتش، جورج، تحطيم العقل، مرجع مذكور، ج2 ، ص 96.

[11] – لوفيت، كارل، من هيغل إلى نيتشه، مرجع مذكور، ج 2، ص 113.

النقد، ويُلاحظ أن نقد نيتشه للمسيحية طال تاريخ النقد الألماني برمته . ونحن هنا وانطلاقاً مما كنا قد أتينا على ذكره سنحاول إبراز طابع النقد النيتشوي للحداثة عموماً والفلسفة الألمانية خصوصاً من خلال نقده للدين المسيحي وتحديداً في عمله النقدي الذي أتينا على ذكره ، أي كتاب "**عدو المسيح**" الذي لا نستطيع اعتباره عملاً نقدياً كلاسيكياً على غرار الأعمال النقدية التي تناولت الدين بشكل عام . فهذا الكتاب وإن كان يشن هجوماً نقدياً على المسيحية ، إلا أنه لا يتمثل بحال من الأحوال الأعمال النقدية الكبرى التي تناولت الدين بنقدها التاريخي ، ونعني بذلك ، على سبيل المثال ، العمل النقدي التاريخي لريتشارد سيمون الذي نُشر عام 1678 تحت عنوان " **التاريخ النقدي للعهد القديم** " وهو العمل الذي اعتبره النقاد عملاً نقدياً بامتياز للكتاب المقدس،والذي رأى فيه هؤلاء كتاباً في غاية الصفاء والعراقة ، إذ إن سيمون اهتم بهذا العمل بالمخطوط نفسه بجبره وحروفه .[12] وكذلك الأمر فيما يتعلق بالنقد الذي أقدم عليه سبينوزا ، الذي حاول في كتابه " **رسالة في اللاهوت والسياسة** " أن يقدّم نقداً للكتاب المقدس على مستويات عدة من حيث مناسبات الروايات الواردة فيه وزمن القص واستخدامات اللغة بشكل يُفصح عن تاريخية النص الديني بالكامل وينسف تالياً فكرة القداسة جملة وتفصيلاً، ويعمل على إلغاء المفارقة والتوحيد بين النبوة والمعرفة الفطرية[13] بشكل لا يسمح بإظهار النبوة كمعجزة سماوية .

بالنسبة إلينا فإن نقد نيتشه المغاير لأشكال النقد السالفة، يغدو مفهوماً من حيث إنه نقد يمهّد لنقد الميتافيزيقيا، لنقد انحطاطها التاريخي ، إذ إن نقد نيتشه هذا جاء متجاوزاً لنقد الدين المسيحي كنص مقدس وهو ليس معنياً بالكشف عن تاريخية النص المسيحي بقدر ما كان معنياً بالانحطاط في شكله المسيحي ومنه إلى الانحطاط بشكله الميتافيزيقي الفلسفي الناجم عنه أصلاً . وانطلاقة نيتشه في معالجته للانحطاط المسيحي تبدأ مع عده المسيحية تطوراً معكوساً ضمن مسيرة التاريخ ، المسيحية التي رأى فيها نيتشه تطوراً إلى الوراء ، وبالمناسبة فإن نيتشه لا يرى أن هذا التطور المعكوس كان قد اقتصر على المسيحية فقط ، بل إن التاريخ عموماً لم يخلُ من حالات مماثلة ، فبدلاً من السير بخط تصاعدي من الأدنى إلى الأعلى ، سار التاريخ بعكس هذه الوجهة من الأعلى إلى الأسفل ، فالبشرية كما يقول نيتشه: " لا تمثّل تطوراً نحو الأفضل أو نحو الأكثر قوة ، أو نحو الأرفع . ولعل فكرة الترقي فكرة حديثة ، بمعنى فكرة خاطئة، فالأوروبي اليوم صار أدنى قدراً من أوروبيّ عصر النهضة. والتوسع المتتالي ، لا يعني إطلاقاً ولا بأية ضرورة ، تسامياً أو تنامياً أو اقتداراً "[14].

فالمشكلة الأولى التي يتحسسها نيتشه هي مع التاريخ عموماً ، الذي لا يسلك سلوكاً مطّرداً نحو الأمام بقدر ما يسير، إلى الخلف ، وجدير بنا أن نشير إلى ما كنا قد أتينا عليه سابقاً حول موقف نيتشه من التقدم التاريخي ، فهو وإن كان يقول ما يقول ، محاولاً إبراز قوله هذا وكأنه احتجاج على حركة التاريخ التي لا يؤمَن جانبها ، والتي لا تسير إلى الأمام ، فإن هناك تلميحاً إلى رفض فكرة التقدم التاريخي ، وإلى رفض الحتمية التاريخية التي قال بها ماركس. وهو لكي يخرج من هذا المأزق ، ويتهرب من هذه المواجهة ، ولكي لا يوسم بالطابع الرجعي لمجمل إنتاجه الفلسفي ، فإنه يلجأ إلى الانحطاط لوصف حركة التاريخ تلك ، على نحو يُبرز أن تطور التاريخ وتاريخ التطور إنما هما تطور انحطاطي ، وأن تاريخ التطور ليس سوى تاريخ تطور الانحطاط.

---

[12] – هازار، بول، أزمة الوعي الأوروبي، ت: يوسف عاصي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2009، ص 226.

[13] – سبينوزا، بندكت دي، رسالة في اللاهوت والسياسة، ت: حسين حنفي دار التنوير، بيروت، 2005، ص 119.

[14] – نيتشه، فريدريك ، عدو المسيح، ت: جورج ديب، دار الحوار، اللاذقية، 2012، ص 31.

إذا كان التاريخ ، بما له وما عليه ، تاريخ انحطاط كما رأينا حتى الآن ، فإن تحسس نيتشه لهذا الانحطاط مردّه إلى أن نيتشه الذي يسعى إلى تحقيق الإنسان الأعلى كان عليه أن يقوم بتصفية حساب مع التاريخ ، ومع التراكم التاريخي ، والديالكتيك ، وتجاوز كل ذلك والاستعاضة عن تلك العوامل بمفهوم الانحطاط ، فطالما أن التاريخ تاريخ لا يتوازى فيه التطور مع تصاعد القوة والاقتدار والتسامي ، وأنه بدلاً من ذلك ، غالباً ما أفضى إلى استبعاد تلك المعاني ، إن لم يكن إلى سحقها فإن التاريخ البشري إذ وصل إلى إنتاج المسيحية كان قد قضى على كل فرصة كان يمكن فيها إنتاج تلك القوة وذلك التسامي والاقتدار. وهنا يظهر انحطاط المسيحية والتاريخ معاً ، في قطعهما الطريق أمام ولادة الإنسان الأعلى . فهذه المسيحية كما يقرر نيتشه قامت " بحرب مستميتة ضد ظهور الإنسان الأعلى ، ضد القوة ، وانحازت إلى كل ضعيف ومنحط وفاشل "[15]. وهي إذ فعلت ما فعلت فإنها أعادت إنتاج الانحطاط .

أما كيف تسنى للمسيحية أن تفعل ذلك ، فإنما يعود لوقوفها ، بحسب نيتشه ، ضد القيم العليا واعتبارها خطيئة وضلالات وغوايات[16]، مما يشير إلى أن نيتشه يهدف من وراء ذلك إلى اعتبار المسيحية مشروعاً ممنهجاً لتكريس الانحطاط الذي هو في تناقض مع المشروع النيتشوي الساعي إلى تحقيق إرادة القوة ، وهذا كله لا يجعل نيتشه يفهم المسيحية ضمن الشروط المادية التاريخية التي أفضت إليها ، وهو بالقيمة نفسها التي تجعله يقدم المسيحية على هذا النحو، يقوم ومن موقع خصومته لتلك الشروط المذكورة بتقديم أسطورة العدمية وربطها بقيم الانحطاط في محاولة مقصودة لتحويل الأنظار عن الاغتراب الديني للإنسان الذي يعادل اغترابه الاقتصادي ، والذي يجعله يناضل ضد الدين كما ضد الظروف الاجتماعية الاقتصادية لوجوده الدنيوي ، إذ إن تاريخ المسيحية عند نيتشه يتحول إلى تاريخ العوز والاحتياج وينتهي والحالة هذه إلى نشر قيم العدمية تحت اسم القداسة[17]. وهنا نقف على محاولة نيتشه لجعل الدين عموماً والمسيحية خصوصاً، نوعاً من الإيديولوجيا ، فهذا التزييف المشار إليه ، الذي أفضى إلى عدمية مغلّفة بالقداسة، هو في نهاية المطاف طابع إيديولوجي يأخذ نيتشه على عاتقه أن يشرحه بإسهاب ، ولكن هذا الشرح النيتشوي بدوره لا يعدو أن يكون هو نفسه إيديولوجيا أخرى تحتاج بدورها إلى شرح ونقد تاريخيين.

ونيتشه كغيره من الفلاسفة الألمان السابقين عليه أمثال فويرباخ يُرجع اللاهوت إلى أنثروبولوجيا ، ولكنه لا يدفع بهذا النقد الأنثروبولوجي للدين إلى مصائره الطبيعية ، ونعني بذلك نقد ظروف الحياة الإنسانية بحد ذاتها ، بل إن هذه الناحية مُسقطة من حساباته الفلسفية كلياً ، ففي حديثه أي نيتشه ، عن العفّه والزهد والتواضع[18] كمنهج للمسيحية يهدف إلى تدمير الحياة واحتقارها، لا يشير إلى الحياة الإنسانية بما هي كذلك ، بل إلى نوع محدد من الإنسانية يهتم به نيتشه ، كما أنه لا يهدف من وراء اكتشافه ذاك إلى أن يكافح ضد الاغتراب الديني وشروطه التاريخية ، بهدف تحرير الإنسان ، بل ما يقوم به نيتشه هو تحويل الصراع نحو طبقة الإكليروس طبقة اللاهوت والكهنة الذين " استغلوا حاجة الإنسان فجعلوه يفضّل أن يريد اللاشيء على أن لا يريد شيئاً[19] " وعلى الرغم مما يثيره نيتشه أو مما قد نعتقد أنه يثيره في ملاحظته تلك ، فإن نيتشه لا يريد تحويل نقد الدين إلى نقد للعالم الأرضي ، كما أنه يستمر في خلق الضبابيات الدينية وخلق صراع وهمي يستعيض به عن الصراع الحقيقي ، فالاغتراب الديني أو العدمية بحسب نيتشه ، ترجع إلى إرادة واعية ومؤدلجة تتمثل باللاهوتيين ، وتالياً فإن النقد النيتشوي للدين لا يمس العلاقات الاجتماعية

---

[15] – المصدر نفسه، ص 32.

[16] – المصدر نفسه ، ص 37،.

[17] – نيتشه ، فريدريك ، عدو المسيح ، مصدر مذكور، ص 34.

2-Nietzche, on the generalogy of Moral, trans by Kaufmann, New york, Modern library, 1968.p 544

[19] – نيتشه ، فريدريك ، هذا هو الإنسان، ت: علي مصباح، منشورات الجمل ، مكان النشر غير مذكور، بلا تاريخ، ص 136.

التاريخية التي أُريد لها أن تبدو وكأنها سماوية ، كما أنه لا يريد الانطلاق من نقد تلك العلاقات بواقعها التاريخي الاجتماعي المشخّص نحو نقد الدين عموماً والمسيحية خصوصاً ويكتفي بالقول : "بأن الحل المسيحي القاضي باعتبار العالم ذميماً وقبيحاً قد صيّر العالم ذميماً وقبيحاً[20] " ونحن لا نستطيع أن نغض الطرف عن النشاط النيتشوي الماضي في البحث الجينالوجي عن أصول المسيحية ، وهذه هي قيمة النقد الأنثروبولوجي للدين عند نيتشه، لكننا في الوقت نفسه ، لا نجد لدى نيتشه من وراء هذا النشاط والسعي الأنثروبولوجي سوى محاولة لتدعيم ما أتينا عليه للتو، أي الابتعاد عن الطابع الاجتماعي التاريخي والاقتصادي للنشاط الديني والبحث في الأصول الأولى للانحطاط والعدمية ، وتالياً دفع مآلات النقد الأنثروبولوجي للمسيحية نحو خلق أنماط ثقافية ودينية وجعلها تتحمل المسؤولية التاريخية للانحطاط الديني والعدمية ، ففي عودة نيتشه إلى مرحلة النشوء ، نشوء المسيحية ، ينتهي به المطاف إلى أرض اليهود الذين أنتجوا المسيحية[21] ، والذين قدّموا شخصية المخلّص نفسها بطريقة فيها كثير من التحويرات بما يجعلها شخصية تامة الانحطاط .[22] وعلى الرغم من محاولة نيتشه هنا اتباع منهج النقد التاريخي ، وإرجاع المقدس إلى مدنس ، أي إلغاء صفة القداسة عن المخلّص نفسه إلا أنه هنا أيضاً لا يتورط في أكثر من ذلك ، إذ إن نيتشه وهو يكشف عن الطبيعة التاريخية للمسيحية وطابعها الانحطاطي الأرضي المأخوذ عن انحطاط اليهود أنفسهم ، لا نجده ينحاز إلى فضح القوام المقدس للعدمية أو كما نفضل تسميته هنا بالاغتراب الديني الذي هو اغتراب ذاتي للإنسان ، وإنما تمثَّل لدى نيتشه بحالة انحطاط إنساني كامل ، ويعود السبب أيضاً إلى أن النقد النيتشوي يريد أن يبقى نقداً متعالياً وفوق علاقات الدَنس التاريخي المتمثل بالوضع الاجتماعي والاقتصادي للإنسان الذي كان من المفروض لأي نقد ديني بما فيه نقد نيتشه أن يأخذه بالحسبان ، لولا أن نيتشه يدرك أنه في مثل هذه الحالة كان عليه إعادة النظر في معالجته النظرية لمفهوم الانحطاط نفسه وقبل ذلك معالجته لمفهوم التاريخ . وبوصول الأنثروبولوجيا النيتشوية إلى اليهود كأساس ومنطلق للانحطاط تكون هذه الأنثروبولوجيا قد سارت بما أراد نيتشه لها أن تسير، دون أن تطال عمق الظاهرة الدينية ، فما يريد نيتشه قوله هنا هو أن الإنسان يصنع الدين وهو يكتفي بهذا القول فسواء كان اليهود أم غيرهم ، هم من أسس للمسيحية كدين انحطاط ، فإن إماطة اللثام عن هذه الحقيقة لا يوضح الانحطاط بوصفه نتاج الوعي الذاتي، وبوصفه ناجماً عن اغتراب الذات الإنسانية داخل علاقاتها الاجتماعية التاريخية ، بل على العكس من ذلك ، فإن نيتشه يقوم بمحاولة تقنيع الظاهرة الدينية ، تنكيرها ، وتالياً إخفاء الطابع الحقيقي للدين بما هو تشيوء الإنسان كما رأى ماركس ،[23] هذا التشيوء الذي يعود إلى فقدان الإنسان للصلات الواقعية داخل علاقاته الاجتماعية والإنتاجية الأمر الذي يجعله يبحث في عالم أُخروي، وهو ما يشير بدوره إلى أن البؤس الديني ليس سوى البؤس الواقعي في حالة استلاب أو اغتراب أو انحطاط بالمعنى النيتشوي.

جدير بالذكر ونحن نأتي على دور اليهود في إعادة إنتاج يهوديتهم مسيحياً أن نورد في هذا السياق النتائج التي أفضت إليها بعض الدراسات الحديثة والتي تحدثت عن محاولة وضع اليهود أنفسهم في منزلة وسط بين العرقية والدين، خصوصاً من حيث احتكارهم ، أي اليهود ، للإله اليهودي ورفضهم جعله إلهاً عالمياً وهو ما ركزت عليه المؤسسة الحاخامية .[24] وأما ذكر ما ذكرناه فلا يغيّر من واقع الحال شيئاً ، فاعتبار الدين حالة مؤسساتية وتصويره على أنه

---

[20] – نيتشه ، فريدريك ، العلم المرح، ت: حسان بو رقية ، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1993، ص 125.

[21] – نيتشه، فريدريك ، عدو المسيح، مصدر مذكور، ص 78.

[22] – المكان نفسه .

[23] – لوفيت، كارل ، من هيغل إلى نيتشه، مرجع مذكور، ج2، ص 144 .

[24] – بشير، نبيه، عودة إلى التاريخ المقدّس، قدمس للنشر والتوزيع ، دمشق 2005، ص 79.

وعيٌ جماعيٌ سياسيٌ، لا يلغي طابعه الاغترابي لكن هذه المرّة بوصفه مؤسسة سياسية تشارك في إعادة إنتاج الاغتراب الذاتي للإنسان كجزء من اغترابه الاجتماعي والاقتصادي ، ومن الممكن القول إن نيتشه كان قد استنتج أن قدرة اليهود على إنتاج الانحطاط لم تتخذ شكلاً واحداً في التاريخ ، وأن انحطاطهم كعرق لم يمنعهم من إعادة إنتاج انحطاطهم كدين. ولكن الموقف النيتشوي من اليهود ربما يأتي منسجماً مع مبادئ الفكر المناوئ للمادية التاريخية بشكل عام ونعني بذلك خلق الأعداء التاريخيين بما هم أعداء ثقافيين بحيث تضيع هنا قيمة الصراع الاقتصادي الذي هو جوهر الصراع التاريخي في كل مكان ، إذ إن نيتشه وضمن هذا السياق يحوّل الانحطاط إلى مزية يهودية عندما يقول: "إن اليهود هم في المكان المعاكس لكل المنحطين . لقد أمكنهم أن يمثلوا دور المنحطين حتى نقطة خلق الوهم بأنهم منحطون ، وأن يضعوا أنفسهم في رأس زاوية كل حركات الانحطاط ، كمسيحية بولس ، لكي يمكنهم تملك القدرة التي تخلق منهم شيئاً أكثر قوة من أي مذهب آخر يؤكد الحياة."[25] وعلى هذه الشاكلة يُخرج نيتشه الانحطاط من قلب الفاعلية التاريخية إلى الإرادة الواعية وهو لا يُبقي من العوامل الاجتماعية والتاريخية التي أفضت إلى إنتاج الانحطاط ، سوى على الدوافع الإنسانية التي تُعبّر عن نفسها في التاريخ ولا يعود الانحطاط مكافئاً ومعادلاً موضوعياً للعلاقات الاجتماعية والاقتصادية داخل مجتمع ما ، بقدر ما يتحول إلى جزء من الطبيعة البشرية . وضمن هذا المنظور يمضي نيتشه في تأكيد إعادة الانحطاط عبر التاريخ كنوع من القوة وعبر طريقة كهنوتية تمكنت من إعادة إنتاج العالم كنظام غائي ، وضمن تراتبية أخلاقية أفضت إلى تراتبية أنطولوجية في إشارة إلى الدور الذي مارسه آباء الكنيسة وعلى رأسهم القديس أوغسطين الذي صاغ عالماً متفقاً مع أهداف موجودة في ذهن الله مؤسسِاً بذلك لمفهوم غرضية العالم[26]، وللجدوى من الوجود وكيفية الحصول على النعيم الأبدي . وهي فكرة سيطرت على كل القرون المسيحية واستعان بها آباء الكنيسة لتزييف كل فلسفة أمكنهم تزييفها أولاً ثم قاموا من خلالها بتزييف العالم ثانياً . معقلنين الانحطاط ، ومدمرين كل إمكانية لفهم العالم والدين تحديداً بوصفه اغتراباً بالدرجة الأولى.

الميتافيزيقا : الانحطاط في تأصيله الفلسفي :

بوصولنا إلى هذه الرؤية التي تحوّل العالم إلى نمط ونظام ، نجد أنفسنا أمام نقد نيتشوي ينحاز إلى ما أتينا عليه سابقاً فيما يخص الجينالوجيا ، ونعني بذلك التأكيد على إرادة واعية تهدف إلى نشر الانحطاط بوصفها إرادة تسعى إلى تحقيق أهداف بعينها ، وهذا بحد ذاته يطرح أسئلة كبرى حول موقف نيتشه من الميتافيزيقا التي ، كما سنرى، سيعتبرها نيتشه استمراراً لما بدأه اللاهوت نفسه . فالتحوّل المذكور للعالم من وجهة نظر نيتشه إنما هو تحوّل جاء من اليهود ، وتوغل مسيحيّاً وتفرّع ميتافيزيقياً ، وهنا لا يحاول نيتشه الخروج من إطار البحث عن أنماط فلسفية ولاهوتية ولا يسعى إلى نقد للميتافيزيقا ، بقدر ما يحاول التأكيد على أن الانحطاط ينبعث عن أصل أخلاقي فلسفي دون الإشارة إلى دور التاريخ في ذلك الانبعاث . وما يفعله نيتشه أنه يكشف عن بداية هذا الانبعاث مع تدهور المجتمع اليهودي الذي بدأ يفقد الثقة بالإله **يهوه** . ففي قلب الفوضى الداخليّة لذاك المجتمع وأمام خطر الخارج الذي داهمه ، ما عاد للإله تلك القوة الحيويّة الدافعة عند شعب توحّد بإلهه أيام الازدهار والقوة ، وهكذا ومع انحدار المجتمع اليهودي **الإسرائيلي** انحدر الإله ، وفي لحظة الانحدار تلك حدث التحوّل الذي أصاب الإله ، فلكي لا يسقط الإله سقوطاً نهائيّاً؛ تم تحويله فالتقطه الكهنة من مثيري الفتنة ، كما يكتب نيتشه ، وبدأوا يفسرون "كلّ سعادة كأنّها ثواب وكلّ نكبة كعقاب

---

[25] – نيتشه، فريدريك، عدو المسيح ، مصدر مذكور، ص 80.

[26] – ستيس، ولتر، الدين والعقل الحديث ، ت: إمام عبد الفتاح إمام ، مكتبة مدبولي، القاهرة ، 1998، ص 25.

لعدم الطاعة لله ونتيجة للخطيئة ، تلك الطريقة التي هي أساساً الأكثر خداعاً في التّأويل ، وفي افتراض نظام أخلاقي للعالم، بها ودائماً تغيّر المفهوم الطبيعي للعلة والمعلول وقُلب العالم رأساً على عقب"[27] .

ومنذ هذه اللحظة مارسَ اليهود تأويلاً للعالم ، تأويلاً قدَّم العالم مقلوباً ، ونُظر إلى كلّ فعل طبيعي في هذا العالم على أنّه فعل قصدي ، ونتاج إرادة واعيّة تفعل وتسلك نحو غاية معينة ، وما عاد مفهوم الحرية ممكناً ، فما يحدث إنّما يحدث بإرادة ولأجل هدف وغاية . وهذا هو بالضبط النظام الأخلاقي للعالم ، وبهذا الصدد أيضاً يعلّق نيتشه حول كذبة النظام الأخلاقي حيث "توجد إرادة إلهيّة تعيِّن ما الذي يجب أن يفعله الإنسان وما لا يجب أن يفعله ، وأنّ قيمة شعب أو شخص في كثيرٍ أو قليل تقاس بمقدار ما تطاع الإرادة الإلهيّة"[28] . هاهنا يعثر نيتشه على أعداء تاريخيين بدلاً من البحث في طبيعة الظاهرة التاريخية التي أفضت إلى جعل اليهود ، إذا اتفقنا مع نيتشه ، يقومون بما قاموا به . إذ إن نيتشه كان قد رأى أن اليهود كانوا قد وجهوا كلّ طاقاتهم نحو تزييف العالم ، الذي لم يعد محايداً أخلاقيّاً بقدر ما غدا عالماً منغمساً في الصراع ضد الإنسان ، ضد الطبيعة البشريّة ، وتحديداً من حيث الشّر والخير وموقعها بينهما ، وسؤالها عن موضوعيّة القيم وذاتيتها . فعلى الصعيد الفلسفي مثَّل مفهوم النظام الأخلاقي للعالم اعتبار القيم الأخلاقيّة موضوعيّة ؛ أي موجودة ومنغرسة في قلب العالم ولا يملك الإنسان حيالها شيئاً ، وبعض الباحثين يعتقد أنّ هذه النظرة إلى العالم من خلال الخير والشّر تمتد إلى قلب كلّ دين وكلّ إنسان متديّن[29] . وسواء كان هذا الرأي صحيحاً أم لا فإنّ القول بنظام أخلاقي للعالم شغل الفكر الفلسفي الحديث ، وفي بعض الحالات حاول هذا الفكر أن يقدّم عوناً للمسيحيّة ، وأنْ يساعدها على تأكيد مفهوم الثواب والعقاب ، وإذكاء نار تعذيب الضمير، والعمل لدى المؤمنين على تحفيز وشحذ الإيمان والخنوع الدّيني ، وتالياً تضخيم الانحطاط .

جدير بالذكر أنّ نقد نيتشه لأخلاق المسيحيّة هذه يلتقي مع نقد سبينوزا لهذه الأخلاق في كتابة **الأخلاق المبرهن عليها هندسيّاً**. الذي يتحدّث فيه عن الدافع الذي يقف وراء اعتقاد الناس بأنّ هناك نظاماً يحكم العالم[30] ، بحيث يبدأ البشر بإنتاج العالم بوصفه مجموعة من الترابطات التي تؤلف بمجملها نظاماً غائيّاً ، ويرى أن ما يحدث فإنّما يحدث لغاية ما ، ولتحقيق غرض ما ، وكان نيتشه نفسه قد اكتشف هذه القرابة التي تجمعه بالفيلسوف الهولندي سبينوزا الذي عاش في القرن السابع عشر ، ففي إحدى رسائله عام 1881 ، كان نيتشه قد عبّر عن هذه القرابة عندما كتب : "إنّي مندهش ومُنقاد إلى درجة بعيدة إذا اكتشف بأنّ هناك من فكّر يوما ما بما أفكر فيه وأعنى به سبينوزا ، ولا بد أنّني قد توجهت إليه بالغريزة ، ولا أتّفق معه بجعل المعرفة هي المؤثرة بشكل قوي ، بل أنّني اتفق معه بنقاط خمس هي : إنكار الإرادة الحرة ، والغائيّة ، ونظام العالم الأخلاقي ، اللا أنانيّة ، والشر"[31] . وما يهمنا هو الإشارة الواردة في هذه الرسالة بشأن النظام الأخلاقي للعالم . والتي يعود فيها نيتشه ليؤكد من جديد على رفضه لهذه الفكرة ، وتالياً رفضه لأفكار مثل الإرادة الحرة والغائيّة والأنانيّة والشر ، والتي بسببها "تظهر الإرادة الإلهيّة كمُحاكم ، أي كمُعاقب أو مُجازي ، وبحسب درجة الطاعة"[32] . بهذا الشّكل تتحوّل الطبيعة الطبيعيّة إلى طبيعة إلهيّة ، وهو مغزى النّظام الأخلاقي للعالم ، مغزى انحطاطي بالكامل ، مغزى يفيد بإنتاج المرض وبثه في كلّ شيء صحيّ ، مما يفضي إلى

---

[27] – **نيتشه ، فريدريك ، عدو المسيح ، مصدر مذكور ، ص83 .**

[28] – **المصدر نفسه ، ص85 .**

[29] – **ستيس ، ولتر ، الدين والعقل الحديث ، مرجع مذكور ، ص62 .**

[30] – **سبينوزا ، بندكت دي ، الأخلاق ، ت: جلال الدين سعيد ، دار الجنوب ، تونس ، 1996 ، ص77 .**

[31] **- kau Fman , walter , the prtable nietzshe , New York , the Viking press , 1954 , p.93 .**

[32] – **نيتشه ، فريدريك ، عدو المسيح ، مصدر مذكور ، ص85 .**

سيادة الانحطاط باسم النجاة والخلاص، وسيادة الكهنوت واللاهوت والقضاء على الناسوت ، على الناس ، أي على البشر الذين ما عادوا سوى مرضى يحتاجون إلى الشفقة المسيحيّة .

عوداً على بدء، ها هو نيتشه يشير إلى المسيحيّة وهي تُشرْعِنُ الانحطاط ، ولكن هذه المرة بواسطة فلسفة الأخلاق ، ونعني بذلك انقضاض المسيحيّة على واحدة من القيم الأخلاقيّة التي أُسست عليها كلّ العِظات وكذلك التّعليم المسيحي برمتّه ، فقيم التّنسك والزّهد المسيحية ، إنّما بُنيت على ما عُرف بالشفقة ، هذه القيمة التي تناولتها الأنساق الفلسفيّة الأخلاقيّة الحديثة ، بمناهج مختلفة . ففي القرن السابع عشر ، القرن الذي عُرف بعصر العقل كان سبينوزا المذكور آنفاً قد أكّد على الدور السلبي للشفقة عندما أوضح التعارض بينها وبين العقل[33] ، فالشفقة حزن وهي تقود إلى ندم مؤكد لأنّها تقود إلى الانغماس في بؤس الآخرين وشقائهم . وإذا كان اسبينوزا قد عارض الشفقة بالعقل ، فإنّ نيتشه اللاعقلاتي يكشف عن تعارض بين الشفقة والقوّة ، فعبر الشفقة يتنامى ويتولّد أكثر فأكثر خسران القوة عبر المعاناة ، وأكثر من ذلك ، فإنّ "المعاناة نفسها تصبح مرضاً معدياً من خلال الشفقة"[34] ، وهنا أيضاً نستشعر الهَّم النيتشوي الساعي إلى خلق التقاطعات الثقافية بين الانحطاط و إرادة الجماعات الثقافية والإثنية والدينية من دون أن يهتم لدرجة التطور التاريخي والتناقضات التي طرأت على بنية الدين نفسه بوصفه اغتراباً ذاتياً جعل الدين يتخذ موقعاً داخل حركة التاريخ ، تماماً كذلك الموقع الذي اتخذه النقد العقلاني للدين ، لنجد أن نيتشه يبحث عن خصومة مع الدين والعقل معاً ، فعلى الرغم من أن نيتشه يتقاطع مع سبينوزا ، فإنه إذا كان هَمُّ الأخير ألا نخسر العقل بسبب الشفقة فإن هم الأول ألا نخسر القوّة ، وما يجمع نيتشه مع سبينوزا هنا هو الشيء نفسه الذي يفرقهما ، إنّها الشفقة التي تجعل الاثنين يقتربان من حيث الرفض ، ويفترقان من حيث طريقة الرفض ، وتالياً من حيث المنهج النقدي للدين إذ إنّ نيتشه لا يرى في العقل سوى صنم من أصنام الفلاسفة[35] . ولأنّه كذلك فإنّه لا يرى في الشفقة تدميراً للعقل ولا يعنيه ذلك ، بل إنّ ما يعنيه هو تدميرها لقانون التطور نفسه ، لقانون الانتخاب ، وهي ، إذ تفعل ذلك ، فإنّها تساعد في بقاء من هم أكثر الناس استحقاقاً للزوال[36] . وهذا ما أمدّ المسيحيّة بآليات البقاء والاستمرار ، كما يعتقد نيتشه ، فمن خلال الشفقة ، التي تحولّت على يد المسيحيّة إلى فضيلة الفضائل ، أمعنت المسيحيّة في الحض على رفض الحياة ، وهنا في السّياق نفسه وبالتفاتة سريعة يذكِّر نيتشه بسلفه شوبنهور الذي رأى أنّه عبر الشفقة تُنكر ، الحياة وأنّها – **أي الشفقة** – ليست سوى "ممارسة العدمية"[37] ، وتاليّاً فإن المسيحيّة بإتباعها الشفقة لحماية البؤساء ، لم تفعل سوى أنّها أدت إلى مراكمة البؤس ، وتمهيد الطريق أمام البشريّة للسقوط في العدم ، لرؤية اللاشيء بوصفه شيئاً ، وخديعة النفس والآخرين ، والماضي والمستقبل والوجود برمته . الشفقة هذه التي كانت الدليل الذي قاد إلى "اللاشيء أو إلى العالم الآخر، أو الله أو الحياة الحقيقيّة"[38] بحسب ادعاء المسيحيّة . ولا يتوقف نيتشه عند هذا التأكيد ، الذي يدير ظهره إلى قيمة التاريخ في تحول قيمة أخلاقية وفقاً للتحولات الاقتصادية والاجتماعية والكيفية التي تبرز فيها القيمة الأخلاقية بمثابتها تعبيراً عن درجة التطور على هذين الصعيدين، بل نجده في مكان آخر من كتابه جينالوجيا الأخلاق يرصد الشفقة وهي تتحوّل إلى حقد، وإلى قوة مُدمرة لقوة الحياة الأساسيّة ، عندما يكشف عن تناقض داخل حياة التنسك

---

[33] – **سبينوزا ، بندكت دي ، الأخلاق ، مرجع مذكور ، ص313 .**

[34] – **نيتشه ، فريدريك ، عدو المسيح ، مصدر مذكور ، ص35 .**

[35] – **بدوي ، عبد الرحمن ، نيتشه ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، 1975 ، ص202 .**

[36] – **نيتشه ، فريدريك ، عدو المسيح ، مصدر مذكور ، ص36 .**

[37] – **المصدر نفسه ، ص37 .**

[38] – **المكان نفسه .**

ذاتها، التي تنطوي على حقد لا يُجارى ، حقد يعبّر عن إرادة قوة تسعى ، وتريد أن تقهر الحياة ، بعمقها وقوّتها[39] . وفعل الشفقة هنا لا يكشف عن انحطاط فقط بقدر ما يكشف عن إرادة الانحطاط إذا أمكن القول ، وهو ما يؤكد ما ذهبنا إليه فيما يتعلق بموقف نيتشه من التاريخ ، الذي يبرز لدى نيتشه بوصفه مجالاً للقيام بعملية الحفر للكشف عن أصل الانحطاط ، أكثر مما هو مجالٌ للبحث في الفاعلية البشرية التي تنتج قيمها الأخلاقية ، جنباً إلى جنب مع نشاطها الاجتماعي الاقتصادي الذي يحدد وعيها الديني والأخلاقي . فطالما أنَّ الشفقة والعدم صنوان ، وكلاهما انقضاض على التّاريخ فإنّنا – وفقاً لنيتشه – نقف على عمل مدبّر أفضى إلى سيادة المسيحيّة عندما اتّخذت من الشفقة منهجاً . وهكذا يكشف المنهج الجينالوجي النيتشوي عن الإرادة المدبّرة التي قامت ، بمكر تاريخي ، بالمماهاة بين المسيحيّة والشفقة ، وأكثر من ذلك فإن هذا المنهج يشير إلى شخصية بعينها ويحمّلها عبئاً تاريخياً ، ونعني بذلك الانحطاط ، وأما هذه الشخصية فهي شخصيّة بولس الرسول ، رسول المسيحيّة المنهجي وصاحب البغضاء واللاإنجيلي كما يصفه نيتشه ، والذي حدد في الإنجيل نوعيّة المختارين لدى الله ليكونوا أصفياءه وشعبه المختار الجديد كالضعفاء والجهلة والمحتقرين[40] . وبكل هؤلاء سيقود بولس حربه ضد ما هو إنساني ونبيل ، وإذا كان بولس قد جمعهم بالشفقة فإنّه سيحكمهم بالخطيئة ، بالثواب والعقاب ، والنظام الأخلاقي، باسطاً فوقهم الشعور بضرورة المعاناة ، بحيث لا يعودون ينظرون خارج ذواتهم ، ولا ينفكون البتّة عن الشعور بالحاجة إلى الكاهن بدلاً من العلم والمعرفة[(41)] . والنقد النيتشوي ، إذ يصل إلى هذه اللحظة السيكولوجية ، التي تشرح آلية انتشار الدين وتموضعه داخل جماعات منحطة ، فإنه يمهّد لأرض المعركة التي تدور رحاها بين المسيحيّة وكل الفئات والطبقات والمستويات التي عملت المسيحية على انحطاطها، فإذا كان المرض والسقم وخراب العقل هو علامة المسيحيّة ، فإن أول ما ينبغي فعله هو إخراج العقول الصحيحة ، الشكاكة ، التّاريخيّة ، من التاريخ المسيحي لصالح تلك العقول المريضة التي تحتاج إلى إشفاق ، ونيتشه يذكر ذلك صراحة عندما يكتب "تقوم المسيحية في مناقضة لكلّ عقليّة حسنة التّكوين ، إنّها فقط تستفيد من العقل المريض بوصفه عقلاً مسيحيّاً"[42] ، ومن هذا المنطلق فإنّ نقد نيتشه لكلّ القرن الثامن عشر بوصفه قرن انحطاط بالكامل[43]، جاء من أنّه شكل من أشكال الانحطاط المسيحي ، فكون المسيحيّة ليست قوميّة ، ولأنّها انحطاط كتلة من أشكال شتّى للانحطاط فإنّنا نستطيع أن نتبيّن أثرها إذا ما قمنا ببحث أركيولوجي داخل طبقات التّاريخ ، بحيث أنّنا سنتعرف على روحها المريضة داخل تلك الطبقات الثقافيّة للقرون المنصرمة ، وسنكتشف أنّ كثيراً من النّظريات السياسيّة والاجتماعيّة التي عرفتها أوربا والعالم لم تكن سوى تمثيل ثقافيّ للمسيحية ، وليست سوى استطالات المسيحية داخل الثقافة الغربية وتالياً العالميّة . فما جرى فعلاً هو أن المسيحيّة استطاعت أن تتسرب إلى نفوس خَرِبة ينقصها العزم ، متهافتة ومحتاجة إلى شفقة المسيحيّة بما يساعدها على تحويل ضيّق نظرها إلى إيديولوجيا جماهيريّة ، وتحويل أصحابها إلى قوميين متعصبين يعملون على نشر المسيحيّة بأشكال سياسيّة وثقافيّة . ويعتقد نيتشه أنّ هذا هو بالضبط ما يعبّر عنه "كلّ من سافانارولا ، ولوثر ، وروسو ، وروبسبير ، وسان سيمون ، بوصفهم النمط المعاكس للروح العزوم والروح الحر".[44]

---

[39]- **Nietzche , on the Genealogy of moral , p553 .**

[40] – **نيتشه ، فريدريك ، عدو المسيح ، مصدر مذكور ، ص161 .**

[41] – **نيتشه ، فريدريك ، عدو المسيح ، مصدرمذكور ، ص153 .**

[42] – **المصدر نفسه ، ص162 .**

[43] – **نيتشه ، فريدريك ، أفول الأصنام ، مصدر مذكور ، ص136 .**

[44] – **نيتشه ، فريدريك ، عدو المسيح ، مصدر مذكور ، ص172 .**

وإذا كان نيتشه ، وبفضل منهجه الجينالوجي ، قد تمكّن من الكشف عن أصل الانحطاط خارج ألمانيا ، محاولاً بذلك إعادة كتابة التاريخ ومبتعداً عن مفهوم الحقيقة التاريخية ، فإنه لا يقف عند حدود القرن الثامن عشر ، ولا يكتفي بالبحث عن أصل الانحطاط المسيحي و الدور الذي لعبه خارج ألمانيا ، بل إنه كذلك يبحث داخل حدود ألمانيا ولدى فلاسفتها الذين يعتبرهم أيضاً نفوساً مخرّبة ، استطاعت المسيحية من خلالهم إنتاج كهنتها ، ولكن هذه المرة بلبوس الفلسفة ، وهو ما اشرنا إليه في بداية البحث ، وتلك هي ضراوة المنهج الجينالوجي الذي لا يتوقف عن البحث داخل التاريخ عن أنماط مختلفة للانحطاط ، وهذا هو مغزى التاريخ عند نيتشه . فالمسيحية لن تتوقف عن خلق مناخ يسمح لها بالبقاء والاستمرار ، وهذه المرة فإنَّ المسيحيّة مرتدية قناع الفلسفة ستكمل حربها ضد التّاريخ ، وتبدو عداوتها هنا أشد فتكاً ومحاربيها هم من الفلاسفة ، ولكن الفلاسفة المصابين بجذام اللاهوت، وطالما أنّ الأمر كذلك ، فهؤلاء أعداء نيتشه الثقافيين ، أعداء الحياة نفسها ، "إنّهم اللاهوتيون وكلّ من يحملون في أجسادهم دمًّا لاهوتياً ، إنّهم كلّ فلاسفتنا" [45]، فالمسيحيّة أفسدت الفلسفة ، واللاهوت المسيحي لطخ كلّ شيء ، وبنظر نيتشه فإن الراعي البروتستانتي هو جد الفلسفة الألمانية وخطيئتها [46]، فالبروتستانتية خديعة المسيحيّة الحديثة ، كانت قد أزاحت الكاثوليكيّة بوهم إنقاذ البشريّة من فساد هذه الأخيرة ، أمّا ما جرى فعلاً فهو أن البروتستانتية كانت قد أنقذت الكنيسة من نفسها، مُعيدة المسيحيّة إلى رشدها والتذكير بضرورة أن تبقى ملتزمة بنفسها كحركة انحطاط إلى الدّرجة التي جعلت نيتشه يرى أن البروتستانتية "فالج نصفي في المسيحيّة والعقل" [47] . وبتسرب المسيحيّة إلى الفلسفة ، من خلال الإصلاح ، تكون قد أصّلت لنفسها فلسفيّاً ، فإذا كانت المسيحيّة ، خلال القرون الوسطى ، قد باركت زواج المحارم الذي ارتكبته مع الفلسفة اليونانيّة ، فإنّها في العصر الحديث ، وبعد المحاولات الحثيثة لتحقيق استقلال الفلسفة عن المسيحيّة ، قد أكملت فعلتها ، بأنّ فقأت عيني الفلسفة ، وجعلتها تهتدي في سيرها على عكاز اللاهوت ، وهو ما يقصده نيتشه عندما وصف الفلسفة الألمانيّة بأنّها "نصف لاهوت، وأنّه يكفي ذكر **مؤسسة توبنجن** لإدراك أن الفلسفة الألمانيّة لاهوت مخادع" [48] . ونيتشه هنا معني بالمثاليّة الألمانيّة ، فالمثالي بالنسبة إليه على "ذات المساواة مع الكاهن ، يملك في يده كلّ المفاهيم الكبيرة ، ويتنازل ليواجه باحتقار الملكة العقليّة والأحاسيس والرفعة والرّخاء والعلم . وهو يرى أموراً كهذه دونه ، ويراها قوى مؤذية وفوقها جميعاً يطفو الرّوح في حريّة ذاتيّة خالصة" [49] .

نستطيع أن نلاحظ أن هذا النقد يطال من بين المثاليين ، أول من يطال ، الفيلسوف الألماني هيغل ، بل إنّ نيتشه يصرّح بوضوح عن موقفه من هيغل عندما يقول :" الرّوح الخالص كذبة خالصة" [50] ، فالمثاليّة الألمانيّة شريك حقيقي في تكريس الانحطاط وإعادة إنتاجه فلسفيّاً ، هذه المثاليّة ، التي وجدت في هيغل ممثلها الأكثر تُقى وإخلاصاً للمسيحيّة ، لا تخجل من نفسها وهي تقلب التّاريخ رأساً على عقب ، مستخدمة مبضعها لفصم عرا الارتباط بين التّاريخ والطبيعة ، تماماً كما استخدمت حَذقها لتحويل التّاريخ إلى مجرد حاسة سادسة ، وتاليّاً فإنّ كانط وشلنغ وفيخته وهيغل وفويرباخ وشتراوس كانوا قد بدوا لنيتشه لاهوتيين وأنصاف قساوسة وآباء كنيسة كما يلاحظ كارل لوفيت [51] .

---

[45] – **نيتشه ، فريدريك ، عدو المسيح ، مصدر مذكور ، ص39 .**

[46] – **المصدر نفسه ، ص 43.**

[47] – **المكان نفسه .**

[48] – **المكان نفسه .**

[49] – **المصدر نفسه ، ص40 .**

[50] – **المكان نفسه .**

[51] – **لوفيت ، كارل ، من هيغل إلى نيتشه ، مرجع مذكور ، ج2 ، ص166 .**

وانطلاقاً من هذا الواقع الذي وُجدت عليه الفلسفة الألمانيّة ، فإنّ نيتشه كان قد انبرى لإبراز تحالفها مع المسيحيّة وتحديداً مع انحطاطها الذي بلغ أوجه مع كانط الذي هو في رأي نيتشه ، " ذلك العدمي ذو الأحشاء المسيحية الدوغمائية ، الذي صاغ الفلسفة الألمانيّة كانحطاط"[52] . وانحطاط الإله المسيحي بلغ ذروته لدى كانط ، وهو انحطاط تنبعث رائحته من كانط كما تنبعث من كهنة المسيحيّة ولاهوتييها الذين هم – كما يصفهم نيتشه – ليسوا سوى "عناكب تبشر بالمساواة فيما هي تخفي نقمتها وعواطف الانتقام التي تتخفى تحت دعوى المساواة تلك"[53] . واللافت أنّ هذه المساواة إنّما قامت على الإقصاء والرفض لكلّ شكل إنساني وجد نفسه في تعارض مع المسيحيّة ، ولكلّ ما أنتجته الشعوب القديمة التي أنتجت أخلاقها من قلب الإنسانيّة نفسها ، بحيث إنّ هذه المسيحيّة عملت على إيجاد إنسانيّة تتنافى مع العود الأبدي وإرادة القوة كما يلاحظ باحثون[54] ، والذين نلاحظ معهم بدورنا ، أن نقد نيتشه للميتافيزيقا لم يتطرق إلى موقفها من الحقيقة ، ولا إلى موقفها من التاريخ الذي قلبته رأساً على عقب،وجعلت كل النشاط الفلسفي النظري والمنهجي يمشي على رأسه بدلاً من أن يمشي على قدميه ، بما في ذلك موقفها من الإنسان ووجوده الاجتماعي والسياسي والاقتصادي ، وكذلك وجوده الديني ، بوصفه وعياً ذاتياً واغتراباً بحسب ماركس .

ولأن نيتشه لا يولي اهتماماً لما ذكرناه للتو ، ولأنه منهمك في البحث عن الإنسان الأعلى ، ولأن التاريخ بالنسبة إليه ، هو فقط تاريخ القوة و ليس تاريخ البحث في قوانين التطور والصيرورة والتقدم ، فإنه ، أي نيتشه ، في مواجهة هذا الانحطاط كان قد أثنى على ثقافات سابقة على المسيحيّة كالرومان والإغريق والقبائل الجرمانية القديمة ، فتلك الشعوب كانت قد عاشت فيما مضى إنسانية أصيلة – كما يرى نيتشه – تلخّص دينها في بطولاتها وإبداعاتها الإنسانيّة [55]. ولأنّها كذلك فإنّ إعادة إنتاجها ، من خلال العود الأبدي عند نيتشه ، قد يساعد في تأكيد الحاضر في مواجهة ماض مسيحي أتى على الأخضر واليابس كما يقال . وباعتبار أن نيتشه كان قد تحسس المستقبل بما يشبه النبوءة ، فإنّ قيم ما قبل المسيحيّة – وإنّ انتمت إلى ماض بعيد – تبدو بالنسبة له قيم المستقبل الذي عليه تجاوز الانحطاط عبر إرادة القوة وقهر العدمية .

خاتمة :

إنّنا إذ نصل إلى خاتمة هذا البحث ، فإنّنا نعتقد أنّ نقد نيتشه للميتافيزيقا ، ممثلاً بنقده للمسيحية كأنموذج ، برز بوصفه تعبيراً عن المطلب الأساسي لفلسفة نيتشه في تحقيق القوّة لتجاوز الانحطاط ، وهذا ما جعل ذلك النقد يقف بشدة ضدّ التقدم التاريخي ، إذ إن هذا النقد انصبّ على البحث عن الأعداء الثقافيين للمشروع النيتشوي الإمبريالي في حينه ، كما أنّ السعي النيتشوي لتحقيق الإنسان الأعلى ، جعل من ذلك النّقد نقداً ثقافيّاً ، فبقدر ما اقترب نيتشه من جوهر موضوعات النّقد في فلسفته بقدر ما ابتعد عن تحليل تلك الموضوعات إلى عناصرها التي تعود في جذرها إلى الفاعلية التاريخية،بوصفها تاريخ البشر الحقيقيين الذين ينتجون تاريخهم وفقاً لوعيهم ، بالقدر نفسه الذي ينتج فيه هذا الوعي هذه الظاهرة أو تلك في سياقات تاريخيّة واجتماعيّة واقتصاديّة . ذلك أنّ فهم ظاهرة دينيّة أو فلسفيّة لا يمكن بحال من الأحوال دون وضعها في السياقات التاريخية لها ، وهو ما حاول البحث أن يشدد عليه . ومع أنّنا انطلقنا في هذا البحث من واقعة اعتبار مفهوم الانحطاط مفهوماً مرادفاً لفلسفة التّاريخ عند نيتشه ، فإنّنا ومن باب الاحتراز

---

[52] – **نيتشه ، فريدريك ، عدو المسيح ، مصدر مذكور ، ص47 .**

[53] – **نيتشه ، فريدريك ، هكذا تكلم زرادشت ، ت: فيلكس فارس ، دار العلم ، بيروت ، بلا تاريخ ، ص126 .**

[54] – **مفرح ، جمال ، نيتشه الفيلسوف الثائر ، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، 2003 ، ص100 .**

[55] **- Kaufmann , w: Nietzche , New Jerscy . princen to university prees , 1974 , p.225 .**

الفلسفي ، نهتم هنا بالإشارة هنا إلى أن فلسفة التّاريخ عند نيتشه ، أفصحت عن نفسها بوصفها نوعاً من إعادة كتابة التّاريخ ، وهذا أيضاً ما حاولنا إبرازه في ثنايا البحث . ولا يفوتنا أن نؤكد أن الفهم النيتشوي للتاريخ ، كما أوضحه نقده للميتافيزيقا عموماً والمسيحية خصوصاً ، إنما هو فهم هدف إلى لي عنق التاريخ ، عندما تجاهل قوانين التاريخ العلمية، ولهذا السبب ربما ، جاء نقد نيتشه للمسيحيّة والانحطاط نقداً ثوريّاً ، ولكنّه لم يكن نقداً علمياً ، وتالياً لم يكن نقداً تقدّميّاً من وجهة نظر التّاريخ . وفكرة العود الأبدي تطل برأسها هنا من بين كلّ المفاهيم والمفاعيل الأساسيّة لفلسفة نيتشه التي لم تكن معنيّة كثيراً بتعقّب التّطور التّاريخي بقدر ما كانت معنية بجعل هذا التّاريخ يسلك تطّوراً بعينه ، تطوراً هو في اتجاه محدد ومعبأ إيديولوجياً ، بحيث أن هذا التطور قاد إلى نتائج إيديولوجية مثّل الماضي فيها عاملاً حاسماً ،أرخى بظلاله على الفهم العلمي الاجتماعي والسياسي والاقتصادي للظواهر التاريخية ، وربّما من أجل ذلك وُصفت فلسفة نيتشه بالفلسفة الرّجعية .

المراجع:

1- نيتشيه ، فريدريك ، أفوال الأصنام ، ت : سليمان حسون ، دار الكوثر ، دمشق ، 2009 .

2- نيتشه ، فريدريك ، ما وراء الخير والشر ، ت : سليمان حسون ، دار الكوثر ، دمشق .2009

3- نيتشه ، فريدريك ، عدو المسيح ، ت : جورج ديب ، دار الحوار ، اللاذقية ، 2012 .

4- نيتشه ، فريدريك ، هذا هو الإنسان ، ت : علي مصباح ، منشورات الجمل ، مكان النشر غير مذكور ، بلا تاريخ

5- نيتشه ، فريدريك ، العلم المرح ، ت : إحسان بورقية ، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، 1993 .

6- نيتشه ، فريدريك ، هكذا تكلم زرادشت ، ت : فيلكس فارس ، دار العلم ، بيروت ، بلا تاريخ.

7- بدوي ، عبد الرحمن ، نيتشه ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، 1975.

8- سبينوزا ، بندكت دي ، رسالة في اللاهوت و السياسية ، ت : حسن حنفى ، دار التنوير ، بيروت ،2005.

9- سبينوزا ، بندكت دي ، علم الأخلاق ، ت : جلال الدين سعيد ، دار الجنوب ، تونس ، 1996.

10- لوفيت ، كارل،من هيغل إلى نيتشه ، ت: ميشيل كيلو، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1988،ج1 .

11- لوكاتش ، جورج ، تحطيم العقل ، ت : إلياس مرقص ، دار الحقيقة ، بيروت ، 1980 ، ج2 .

12- مفرح ، جمال ، نيتشه الفيلسوف الثائر ، افريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، 2003.

13- هازار ، بول ، أزمة الوعي الأوربي ، ت : يوسف عاصي ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، 2009.

14 - Kau fmann .w ، Nietzche ، New Jersey ، Princen to university Press ، 1974 .

15 - Nie tzch ، on the Genealogy of Morals ، transl by ، w . kau fmann ، New york ، Modern Library ، 1968 .